ومن خصائِصِها أنك ترى لضميرِ الأمرِ والشأنِ معها منَ الحُسْنِ واللطفِ ما لا تراه إذا هي لم تدخلْ عليه بل تراه لا يصلحُ حيثُ صَلَحَ إلاّ بها وذلك في مثْلِ قولهِ تعالى : (إنّـَه مَنْ يَتـّـَقِ ويَصْبرْ فَإِنّـَ اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ المُحْسِنينَ) وقولِه : (أنـّهُ مَنْ يُحادِدِ اللهَ وَرَسُولَهُ فأنّـَ لَهُ نارَ جَهَنـّـَمَ) وقولِه : (أنـّـَه منْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهالَةٍ ثُمّـَ تابَ) وقولِه : (إنـّـَه لا يُفْلِحُ الكافِرُونَ) . ومن ذلك قولُه : (فإِنـّـَها لا تَعْمَى الأَبْصارُ) . وأجاز أبو الحَسنِ فيها وجهاً آخر وهو أن يكونَ الضميرُ في " إنها " للأَبصارِ أضْمِرتْ قبلَ الذكرِ على شريطةِ التفسير . والحاجةُ في هذا الوجهِ أيضاً إلى " إنّـَ " قائمةٌ كما كانت في الوجهِ الأولِ فإِنه لا يُقالُ : هيَ لا تَعْمى الأبصار كما لا يُقالُ : هوَ من يَتـّـَقِ ويَصْبِرْ فإِنّـَ اللهَ لا يُضِيعُ . فإِن قلتَ : أو ليسَ قد جاء ضميرُ الأمر مبتدأً به مُعَرّىً منَ العوامِلِ في قولِهِ تعالى : (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) قيل : وإنْ جاء هاهُنا فإِنه لا يكادُ يوجدُ مع الجملة منَ الشرط والجزاء بل تراهُ لا يجيءُ إلاّ ب " إنّ " . على أنهم قد أجازوا في (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) أن لا يكونَ الضميرُ للأمر .

ومن لطيفِ ما جاء في هذا الباب ونادرِه ما تجدُه في آخِرِ هذه الأبياتِ التي أنشدَها الجاحظُ لبعضِ الحجازيين - الطويل - :